https://doi.org/10.61353/ma.0190322

فاطمة الزهراء (ع) ودورها في الفكر السياسي الإسلامي والمجتمع المدني

م.م نور سمير محمد
جامعة النهرين/كلية العلوم السياسية-
قسم العلاقات الاقتصادية الدولية
noor.samir@nahrainuniv.edu.iq

تاريخ استلام البحث 2024/11/6 تاريخ ارجاع البحث 2024/11/17 تاريخ قبول البحث 2024/11/25

تعد فاطمة الزهراء ابنة النبي محمد ﷺ شخصية مؤثرة ومهمة في تاريخ الإسلام ، وإن تأثيرها لم يقتصر فقط على البعد الديني والروحي، بل تعدت ذلك لتشمل الفكر السياسي الإسلامي و دورها في تطوير المجتمع المدني، إذ تعدّ فاطمة الزهراء قدوة ومصدر الهام للنساء والرجال على حد سواء ، وتمثل رمزاً للقوة والعدالة والتضحية، فقد أدت دورًا حاسمًا في النهوض بالفكر السياسي الإسلامي عن طريق اسهامتها الفاعلة في قضايا الحكم والقيادة . كما ان لها تأثير عميق على الأحداث التاريخية التي تلا زواجها من الإمام علي بن ابي طالب. إذ قدمت الزهراء نموذجًا قويًا للقيادة السياسية العادلة واظهرت قدرتها على التأثير في صنع القرار وتوجيه الأمور العامة، فضلًا عن الفكر السياسي، كان لدور فاطمة الزهراء تأثير كبير في تطوير المجتمع المدني، إذ نمت فاطمة الزهراء في بيت النبوة وشهدت تأسيس الإسلام، ومن هذا المنطلق كان لها دور فريد في تعزيز القيم الإنسانية والأخلاقية في المجتمع. إذ كانت تعلم الناس التسامح والعدل والمساواة بين الجنسين، وتشجع على العطاء والإحسان في المجتمع. وبالرغم من قصر حياتها؛ إلا ان تأثيرها الثقافي والاجتماعي استمر عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: فاطمة الزهراء ، الفكر السياسي ، المجتمع المدني .

The Fatima al-Zahra, the daughter of the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, is an influential and important figure in the history of Islam. Her influence was not limited to the religious and spiritual dimension, but extended to include Islamic political thought and her role in developing civil society. Fatima al-Zahra is considered a role model and a source of inspiration for women and men alike, and represents a symbol of strength, justice and sacrifice. She played a decisive role in the advancement of Islamic political thought through her effective contribution to issues of governance and leadership. She also had a profound impact on the historical events that followed her marriage to Imam Ali bin Abi Talib. Al-Zahra presented a strong model of just political leadership and demonstrated her ability to influence decision-making and direct public affairs. In addition to political thought, Fatima al-Zahras role had a great impact on the development of civil society, as Fatima grew up in the house of prophecy and witnessed the founding of Islam. From this standpoint, she had a unique role in promoting human and moral values in society. She taught people tolerance, justice and gender equality, and encouraged giving and charity in society. Despite her short life, her cultural and social influence has continued through the ages .

Keywords: Fatima AL Zahra , Political thought , Civil society .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

المقدمة

تعد فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الشخصيات التي أكد عليها الإسلام كثيرًا ، وذلك لدورها الكبير في الحياة الإسلامية . فقال تعالى في كتابه الكريم ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً)) ، فقد مثلت آية التطهير هذة الزهراء(عليها السلام) ، فهي ابنة رسول الله ، وزوجة امير المؤمنين ، وام الحسنين (عليهم السلام)، وهولاء الخمسة نزلت بحقهم هذة الاية المباركة . ومثّل ذلك البعد الديني الغيبي. من هنا يتجسد دور فاطمة الزهراء في المجتمع الإسلامي ، فقد كان لها دور سياسي بشكل عام وللمرأة بشكل خاص فتمثل دورها السياسي إذ يمكن أن تقوم به المرأة في المجتمع الإسلامي ، فقد شجعت المرأة ان تدخل العمل السياسي وأن تمارس هذا الدور المهم في الأعمال السياسية وفي المجتمعات الإنسانية . فالمرأة في هذا المجال كالرجل تتحمل المسؤوليات الخاصة في خدمة المجتمع والتضحية من أجله ، والجهاد في سبيل الله تعالى وفي البذل والعطاء إلى حدّ الاستشهاد في سبيل الله تعالى . وهذا ما نراه في تضحية الزهراء (عليها السلام) من أجل نصرة الإسلام وترسيخ مبدأ الولاية والدفاع عن هذا الحق الذي أريد له ان يثبت في التاريخ ويستمر.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في ان سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) لم تكن مجرد امرأة عابرة في التاريخ ، فهي كيان إلهي جعله الله أنموذجاً للعبد الصالح ، يقتدي به الرجال قبل النساء . يتعلمون من حياتها ومماتها دروساً وعبرًا تنفعهم في بناء المجتمع الإسلامي ، ولهذا حاولنا بيان مواقفها السياسية والفكرية فضلًا عن اسهامها في المجتمع المدني .

مشكلة البحث

تدور مشكلة البحث حول هل لفاطمة الزهراء دور سياسي أثناء مدة حياتها ؟ ومن جانب آخر هل كان للزهراء تأثير على المجتمع المدني الإسلامي ؟ إذ إن تتبع هذا الدور تأريخياً يمثل غاية البحث وذلك بالإجابة على جملة من الاسئلة البحثية التي تتمثل في سؤالين اساسيين :

1. من هي السيدة فاطمة الزهراء؟ وماهي خلفية نشأتها الثقافية؟ .
2. ماهي الأبعاد السياسية، والفكرية الاجتماعية للسيدة فاطمة الزهراء؟ .

فرضية البحث

إن للسيدة فاطمة الزهراء دورًا سياسيًا مهماً ولاسيما الأحداث التي شهدتها الساحة الإسلامية عقب وفاة نبي الله محمد ﷺ ، حول موضوع الخلافة ، وشعور فاطمة الزهراء ان ظلماً وقع عليها ، واعتداء على حق زوجها علي بن ابي طالب في الخلافة ، فمن هنا نرى أول مشاركة سياسية حقيقية حول رفضها للسلطة، أو الخلافة الجديدة ، إذ أسست تيارًا سياسيًا معارضًا للخلافة الإسلامية المشكلة بعد وفاة ابيها .

فضلًا عن دورها في تثقيف الأفراد وتوعيتهم ودعوتهم إلى التمسك بتعاليم الله وتعاليم رسوله، لمواجهة الظروف كلها وتحمل المسؤوليات كلها التي يتطلبها المجتمع الإسلامي لمقاومة الظلم والاستبداد .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

مناهج البحث

اعتمدنا الأسلوب الوصفي والتحليلي لوصف حالتها بعد وفاة والدها وما عانته من أذى، وذلك عن طريق جمع الحقائق من خطبتها (الخطبة الفدكية). والأسلوب التحليلي لتحليل بعض الأبيات من الخطبة بهدف فهم أعمق لمعانيها وتأثيرها .

هيكلية البحث

تحدثنا في المطلب الأول التعريف بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ونشأتها وتربيتها، أما المطلب الثاني فقد سلطنا الضوء على الأبعاد الفكرية، والسياسية والاجتماعية عند فاطمة الزهراء ومدى تأثيرها في المجتمع المدني الإسلامي، ثم الخاتمة التي تحدثنا فيها عن أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج .

المطلب الأول / التعريف بالسيدة فاطمة الزهراء وخلفيتها التاريخية والثقافية

إن الحديث عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يشتمل على حوادث كلها عبر وحكم ودروس، يتعرف بها الإنسان على أولياء الله وخاصته، وكيف نظرتهم إلى الحياة.

وقد لا نستطيع في عدة صفحات أن نلامس كثير من تفاصيل حياة الزهراء منذ نشأتها وحتى وفاتها، لكننا سوف نحاول إلقاء الضوء على أهم مفاصل تاريخها لاسيما نشأتها وتربيتها وجهادها علناً في فرعين وكما يأتي:-

الفرع الأول / السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) (ولادتها ونشأتها)

إن ولادة ونشأة السيدة فاطمة الزهراء يقتضي تحديد ما يأتي :-

أولاً / اسمها ونسبها : هي فاطمة بنت محمد بن عبدالله نبي الأمة ورسولها ﷺ ، وامها خديجة بنت خوليد (رضي الله عنها) ، زوجة رسول الله الأولى واكثر من وقفت معه وآزرته في بداية نبوته ودعوته للاسلام. و ولدت السيدة فاطمة الزهراء في العشرين من جمادى الثاني في السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة[1] ، واتفق العامة والخاصة على أنّ نطفتها خلقت من ثمر الجنة اطعمه الله نبيه المختار ليلة المعراج[2] ، ولدت الزهراء في مكة المكرمة قرب المروة في زقاق العطارين وهو —اليوم– مسجد تم غلقه لأسباب عديدة[3] ، لكنه لازال قائماً وموجوداً .

وللسيدة فاطمة الزهراء تسعة اسماء يرمز كل منها لصفة ومناقب هذة السيدة الطاهرة وهي (فاطمة ، الصديقة الكبرى ، الطاهرة ، المباركة ، العذراء ، الراضية ، المرضية ، البتول ، الزهراء) .

وكفى بأسمها (فاطمة) الذي حمل البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها ، و روي في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((أتعلم يا علي لم سميت ابنتي فاطمة؟ قال (عليه السلام): لم يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: إن الله عزل وجل فطمها ومحبيها من النار فلذلك سميت فاطمة))[4] .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190322

ثانيًا / النشأة والتربية :

نشأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في بيت النبوة ، يظللها جناح الإيمان وتشم رائحة الوحي، واخذت تنمو وتكبر وبدأت تفتح عينيها على الحياة لترى ما كان يتعرض له ابوها في ذلك الوقت من أذى قريش واستهزائهم[5] ، لتجد نفسها في ساحة الصراع وهي لاتزال صغيرة تدافع عن ابيها وتعيش معه الأمه ومشاعره .

وحين اشتد الصراع بين رسول الله ومن تبعه من قريش انتقلت المواجهة معها من مرحلة الاستهزاء والسخرية إلى مرحلة الاضطهاد التي توجت بالحصار ضد بني هاشم في شعب ابي طالب* ، وحينما بلغت الزهراء عامها الأول حاصر المشركون رسول الله في شعب ابي طالب، واستمر الحصار ثلاث سنوات ، إذ بلغ عمرها أربع سنوات .

وفي تلك الحقبة توفيت السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، وبعدها توفي السيد ابو طالب عم نبي الله ﷺ [6]، الذي كان يدافع عند الرسول ويدفع عنه أذى القريشيين، وقد ازدادت حملات قريش على النبي وقد كانت السيدة فاطمة الزهراء تشاهد ما يحصل وتتحمل ما يتحمله ابوها وتتجرع غصص الآلم .فضلًا عن ذلك تحملها مرارة لفقدان حنان وعطف الأم باكرًا في وقت احوج ما يكون فيه المرء إلى حنان الأم وعطفها . وبعد فشل جميع الوسائل المتبعة في محاربة رسول الله وآله اجتمع المشركون في دار الندوة وقرروا محاصرة بني هاشم جميعاً ، ومن يخرق قانون المحاصرة فإنه مهدور الدم . وبعد مدة خرج بنو هاشم من الشعب ومعهم فاطمة (عليها السلام) اقوياء واشد صلابة من قبل .

وقد بقيت فاطمة الزهراء المواسية الوحيدة لأبيها تعطف عليه وتخفف من أحزانه فكانت سلوة ابيها منذ صغرها، ووقفت بثبات لتتحمل المسؤولية .

كبرت وترعرعت فاطمة (عليها السلام) مع الإسلام ، وعاشت مع المسلمين والقرآن ، ولم تنفصل عن حياة النبي ﷺ حتى بعد زواجها ، واحتضانها ورعايتها لابنائها ، وكانت دارها متصلة بدار النبي ﷺ ويذكر أنه كان يمر على فاطمة كلما خرج للمسجد لصلاة الفجر[7] .

واخيراً في اللحظات الأخيرة من حياة النبي ﷺ ،كانت فاطمة على رأسه تجهش بالبكاء ، وكان النبي ﷺ يسليها ، ويعدها بأنها ستكون أول من يلحق به[8] .

ثالثًا / زواجها من الإمام علي بن ابي طالب

في السنة الثانية من الهجرة ، زوج النبي ﷺ فاطمة (عليها السلام) بأمير المؤمنين علي (عليه السلام)[9]، ويروى أن الزواج كان بتوجيه الوحي فمثلت بذلك زواجاً سماوياً وهذا الزواج البهيج حقاً يليق بهما ، وذلك ، وكما صرح به النبي والائمة المعصومون (عليهم السلام) لا يصلح رجل غير علي (عليه السلام) ليكون كفواً وزوجاً لفاطمة (عليها السلام)[10] .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190322

وإن من خصائص هذا الزواج ، مما يدل على علو منزلتهما ، أن النبي ﷺ ردّ طلب الكثير من زعماء قريش والعرب وأشرافهم بالزواج من فاطمة وكان يقول: أمرها إلى ربها[11] . وحين طلب علي (عليه السلام) يد فاطمة (عليها السلام) ذكر رسول الله ﷺ له ان الله سبحانه وتعالى قد أمره بتزويج فاطمة من علي[12].

وأن هذا الحدث المهم له دلالات عده منها أنه دلالة من دلالات التأييدات الإلهية ، وتوجه الله تعالى الخاص لبيت النبوة والرسالة ، وفي الوقت نفسه ، يبين بوضوح بساطة التعاليم الإسلامية في مجال الزواج وسموها، ويذكر من هذا الحدث البهيج :" حين تقدم الإمام علي (عليه السلام) لطلب يد فاطمة من الرسول ﷺ ، قال له ﷺ: يا علي انه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن على رسلك حتى اخرج اليك ، فدخل عليها ، فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه واتته بالوضوء .. ثم قعدت فقال لها: يا فاطمة ، فقالت: لبيك حاجتك يا رسول الله ﷺ؟ قال: إن علي بن ابي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه واني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت، ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله ﷺ كراهة ، فقام ، وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها "[13].

وكان مهر الزواج ، هو درع الإمام علي (عليه السلام) ، الذي باعه ، واشترى بقسم من ثمنه جهازاً لفاطمة (عليها السلام) .

اذاً فبتتبع سيرة الزهراء (عليها السلام) نجدها قد جمعت بين العديد من الأدوار فهي نعم البنت ، ونعم الزوجة ، ونعم الأم ، ونعم الموجهة والمرشدة للمجتمع والذي سنلاحظه في المبحث الثاني ، إلا أن أجلها شأناً واعظمها مكانتها داخل بيتها ، فقد كانت خير مثال في إنشاء الأسرة المثالية بعد زواجها من أمير المؤمنين وبوحي من الرسول ﷺ من الله تعالى ، وتم الزواج في السنة 2هـ ، وأثمر عن ولادة الأقمار الثلاثة الإمامين الكريمين (الحسن والحسين) والسيدة (زينب) .

المطلب الثاني / الابعاد الفكرية والسياسية عند فاطمة لزهراء وتأثيرها على المجتمع المدني

لقد ضربت الزهراء(عليها السلام) أروع الأمثلة في كل جوانب الحياة والعبادة والإيمان وبرعت فيه ما لم يصل إليها أحد، أو يسبقها أحد فقد كانت مدرسة وقدوة للأجيال المتعاقبة وقد اتخذت من العبادة الطريق إلى التوفيق والإعانة والكمال في مختلف نواحي الحياة وجوانبها. وإن دراسة الأبعاد الفكرية والسياسية للسيدة فاطمة الزهراء وأثرها على المجتمع الإسلامي ويمكن دراسته في فرعين وكما يأتي :-

الفرع الأول / الابعاد الفكرية والسياسية للسيدة فاطمة الزهراء :

بعد استشهاد رسول الله ﷺ انشغل الإمام وآل البيت الكرام بتجهيزه ﷺ ودموعهم تفيض على وجوههم من الحزن والأم الفراق، وفي هذة الأثناء، وقبل أن تشيع جنازة الرسول ﷺ وكان ما يزال في فراشه، تحشد الخزرج بقيادة سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، وخف اليهم رجال الأوس، ليختاروا من بينهم رجلاً يكون على رأس المسلمين، بعد رسول الله ﷺ، فلقد اعتقد الأنصار أنهم أولى بهذا الأمر، بعد أن آوى الإسلام إليهم واذن

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

الله لرسوله بالهجرة إليهم، ليتخذ مدينتهم موطناً له، ومنطلقاً لرسالته فاتي الخبر أبا بكر، فأسرع ومعه عمر، ثم لقيا أبا عبيدة، فأنطلقوا جميعاً إلى سقيفة بني ساعدة، وبعد جدال طال ولم يستطل، انتهى المجتمعون إلى اختيار الصديق خليفة المسلمين(14).

أما الإمام علي (عليه السلام) كان في تلك الساعات العصيبة بجوار الجثمان الطاهر ، ومن ثم فإنه لم يحضر هو وبنو هاشم هذا الاجتماع ، ولو شهد الإمام علي اجتماع السقيفة هذا، لكان له قول آخر . ولربما أخذت الأمور في يومنا هذا اتجاهاً آخر، غير اتجاهها الذي سارت فيه . وعندما علمت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بما حدث في اجتماع السقيفة بني ساعدة ، ومازال والدها سيد المرسلين وخاتم النبيين لم يدفن بعد ، بكت بكاءاً شديداً ، حتى انه لما جاء إليها بعض الصحابة، وفيهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة معزين، قالت لهم "تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين ايدينا ، وقطعتم أمركم بينكم، ولم تستأمرونا ، ولم تردوا حقا" (15).

و كانت الزهراء(عليها السلام) ،كما كان بنو هاشم جميعاً ، وجمهرة من أهل المدينة ، يرون أن الإمام علي أحق الناس بخلافة رسول الله ﷺ ، ومن ثم فقد خرج الإمام يحمل فاطمة (عليها السلام) على حمار ليلاً ، في مجالس الانصار ، تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون: يابنت رسول الله ﷺ قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل ابي بكر، ما عدلنا به ، فيقول علي (عليه السلام) :"أكنت أدع رسول الله ﷺ لما أدفنه ، واخرج أنازع الناس سلطانه ، فقالت فاطمة: ما صنع به ابو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما اله حسيبهم عليه" (16).

ومن ثم بقيت الزهراء (عليها السلام) متمسكة برأيها، وماكانت لتتنازل عن صواباً ، وهو أن علياً أحق بالخلافة من غيره . وأسست نهج المعارضة السياسية السلمية من خلال ثلاثة عناصر هي:-

اولاً / النهج البكائي المعارض: وقفت الزهراء بوجه الحكومة الجديدة ، لتؤسس مبدأ المعارضة السلمية ، وكان في بكائها ، بعد استشهاد النبي ﷺ لايخلو من الرسائل التي تحمل في طياتها الكثير من الفلسفة السياسية والاجتماعية والعقدية إذ يمكن أن نلتمس منها الموقف السياسي الرافض للاتجاه السياسي الذي تزعمه طائفة من المسلمين القابضين على السلطة ،كوسيلة من الوسائل التي أتبعتها الزهراء طيلة حياتها ، وهي الوسيلة الأهم بعد خطابها في المسجد النبوي(17) . فقد جهرت بالحق ودافعت عن الإمامة* إذ أعادت إلى الأذهان الخطوط العريضة التي رسمها الإسلام لقيادة الأمة بعد الرسول ﷺ وحفظ الدعوة وتأصيل مفاهيمها ، اذ ليس من المعقول ان يكون البكاء الصادر منها (عليها السلام) لفقدان ابيها(18) .

ومن دون شك أن هناك عدة أسباب وراء هذا البكاء غير الحزن الشديد لفقدان ابيها ومن بين تلك الأسباب المعارضة السياسية السلمية التي اغتصبت الخلافة من أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهذا الأسلوب لم تنفرد به السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) من أهل البيت(عليهم السلام) ، بل انتهج الإمام السجاد(عليه السلام) أسلوب البكاء في العصر الأموي ليبين للناس حجم ظلمهم لأبيه سيد الشهداء(عليه السلام) .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190322

ثانياً / النهج الشعري أو التعبيري المعارض: وهوالأسلوب الثاني الذي استخدمته الزهراء وهو من أساليب المعارضة السياسية السلمية في فكر السيدة فاطمة(عليها السلام) الشعر الرثائي ، تجاه السلطة الحاكمة ، إذ تزامن مع مراحل دفن النبي ﷺ وما بعده ، إلّا أن الملاحظ على هذا الأسلوب أنه كان اوضحًا للكثير من بسطاء الفكر السطحي في فهم حقيقة اهداف السيدة الزهراء . وأبرز ما روي عنها قولها[19] :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة — لو كنت حاضرها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها — فاختل قومك فأشهدهم فقد نكبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم — لما فقدت وكل الإرث قد غصبوا
وكل قوم لهم قربى ومنزلة — عند الاله وللأدنين مقترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا — جهرا وقد أدركونا بالذي طلبوا
سيعلم المتولي ظلم خاصتنا — يوم القيامة عنا كيف ينقلب

اذاً نجد في هذة الأبيات الكثير من الرسائل التي ارسلت من قبل الزهراء (عليها السلام) والتي كانت تهدف من وراءها وضع المجتمع على بعض الحقائق الغامضة لديهم وحثهم على الوقوف ضد الحكومة الجديدة ، أو إقامة الحجة على جميع المجتمع ، للظلم الذي نالها من دون أن تجد ناصرًا، أو معين .

وعند قراءة وتحليل الأبيات الشعرية نجدها(عليها السلام) لخصت أبرز الأحداث السياسية بطريقة تحمل في طياتها الرمزية الواضحة لأبناء المجتمع المدني ، وأبرز تلك الأحداث التي ذكرناها سابقاً انقلاب السقيفة ، اضافة الى اساليب القوم اتجاه أهل البيت (عليهم السلام) من خلال عرض اول مظلومية اقتصادية واجهتهم ، والتي تمثلت في اغتصاب أرثهم ظلماً وعدواناً ، كما صرحت في الظلم الذي لحق بأهل البيت (عليهم السلام) وعدم اعطائهم مكانتهم الطبيعية في الاواسط الاجتماعية ، وبهذا فقد أعلنت الزهراء تهديداً صريحاً للظالمين بأن مصيرهم سيكون العذاب جراء ظلمهم هذا .

كما قالت ايضاً [20]:

قل للمغيب تحت اطباق الثرى — إن كنت تسمع صرختي ونداثيا
صبت علي مصائب لو أنها — صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت حمى بظل محمد — لا أخش من ضميم وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل واتقي — شجنا عن غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مونسي — ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا

قد أكدت هنا الزهراء على منزلتها من الله وقرابتها من رسول الله ، وعدم مراعاة بعض الشخصيات لتلك المنزلة والقرابة . ونلاحظ مما سبق أن الزهراء قد نجحت نجاحاً كبيراً في ايصال مجمل الرسائل التي توخت (عليها السلام) ايصالها الى المجتمع المدني .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190322

ثالثاً / النهج الخطابي المعارض: وهو الأسلوب الأخير الذي استخدمته الزهراء فتمثل في الخطاب العقدي الذي ضمنته (عليها السلام) في خطابها سواء كان ذلك في المسجد النبوي أو الذي كان في بيتها مع نساء المهاجرين والأنصار الذي يحمل الكثير من الإشارات السياسية السلمية في الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) [21] .

اذاً فقد تمثل خروجها (عليها السلام) في خطابها الأول الذي كان في المسجد النبوي أهم المواقف السياسية الشرعية التي ميزت من خلاله بين الحق والباطل، ثم تنتقل (عليها السلام) لتبين للأمة غدرها وخيانتها وانحرافها عن مسار التخطيط الإلهي والمحمدي إذ قالت:"فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهر فيكم حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغوين ..." [22] ، ثم تنتقل لتبين للأمة المرجعية الالهية في جميع أمورهم الدينية والدنيوية بقولها:"ام أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابي وابن عمي ....."[23] .

واخيراً فهي توبخ الأمة عن أنحرافهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بقولها:"ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والبطين بأمور الدنيا والدين ؟! الا ذلك هو الخسران المبين! ، وما الذي نقموا من ابي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتميزه في ذات الله لو مالوا عن الحجة الدائمة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم اليها وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحا .... "[24] .

ويتضح مما سبق أن التراث الخطابي الفاطمي أكد على الدفاع عن الولاية ، فضلًا عن دفاعها عن حقوقها الاقتصادية المغتصبة والمتمثلة في فدك .

اذاً تعدّ الزهراء (عليها السلام) في الابعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية شخصية مميزة إذ إن جميع النساء المجاهدات والثوريات والمميزات والسياسيات في العالم يمكنهن ان يأخذن الدروس والعبر من حياتها القصيرة والمليئة بالمحتوى والمضمون .

الفرع الثاني / مدى تأثير السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على المجتمع لمدني الإسلامي

إن للسيدة فاطمة الزهراء دوراً وتأثيراً مهماً على المجتمع بصورة عامة ، فقد كانت تتمتع بمكانة اجتماعية سامية كونها ابنة نبي الله ورسولهﷺ كما ذكرنا ، فضلاً عن مزايا شخصيتها وأخلاقها وسجاياها التي لايوجد شبيهها في كل الوجود الإنساني ، فقد كانت محط انظار من حولها من افراد المجتمع حتى باتوا يقصدونها في الكثير من الأمور .

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذات علم رباني ، ومن يشك في ذلك عليه أن لا ينسى بأنها بضعة رسول الله ﷺ وقد نشأت وتربت في كنف النبوة وتعلمت من علم الهادي الأمين ﷺ . فضلًا عن ذلك أنها وبالرغم من صغر سنها إلا أنها كانت ذات علمية عالية ، وذلك لما تلقته من ابيها منذ طفولتها ، فكانت

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

الزهراء العالمة المعلمة ، كما قامت بدور علمي مهم وهو نشر العلم بين النساء والرجال ، فكان بيتها بمثابة المدرسة الأولى لتعليم نساء المجتمع . ما يشكل عليهن من الأحكام الشرعية والمعارف الالهية الضرورية[25] .

لقد كان تأثير السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) على المجتمع المدني الإسلامي المتمثل بالتحدي ، الذي تقف فيه المرأة بشكل خاص والمجتمع ككل بشكل عام لمواجهة الظلم والمطالبة باحقاق الحق والتغيير، فضلًا عن تشجيع المرأة واعطائها شرعية المشاركة السياسية ، فعند رؤية مواقفها السياسية يعطينا الحق الفكرة بأنه يمثل السلوك الإسلامي الحق . وقد وضحت رسالتين : الرسالة الأولى وهي موجهة إلى الملأ اجمع ، ومفادها ان الوثوب إلى درجات متقدمة من التكامل والقرب الإلهيين ليس حكراً على الرجال فحسب –فكانت (عليها السلام) قدوة على الرجال والنساء – بل بمقدور المرأة إذا جاهدت نفسها وحافظت على استقامتها وداومت على فروضها وطاعاتها أن تتقدم ايضاً ، وربما تنال السبق والتفوق على بعض الرجال ايضاً. أما الرسالة الثانية التي كانت موجهة إلى النساء بالرجة الأولى ، ومفادها إن أرادت السعادة والفوز والنجاح في حياتها فبإمكانها الاستنان بسنة السيدة فاطمة(عليها السلام) ، فقد اعطت لنا الزهراء نموذجاً للمرأة المثالية الكاملة . فهي كامرأة فاعلة في المجتمع حددت وظائف المرأة المسلمة وموقعيتها بكل اقتدار ، وأسهمت في إثراء الساحة النسائية بالحضور في ميادينها المختلفة التي تنسجم مع النساء وتناسب نظرة الإسلام لهن[26] .

ومن ثم فهناك تأثيراً ودوراً كبير للسيدة فاطمة الزهراء اليوم على المجتمع وعلى المرأة بشكل خاص اذ بينت أن الإسلام لم يرد للمرأة أن لم تنكفئ بعيداً عن الإطار السياسي والاجتماعي العام ، فالمجتمع اليوم بحاجة إلى جميع الطاقات ، فهو يحتاج إلى طاقة كل من المرأة والرجل ، إذ يفرض على المرأة أن تنمي طاقاتها عندما يواجه المجتمع تحديات كبرى وعند مواجهة انحراف ما ، سواء اكان هذا الانحراف في الحكم او في السياسة وغيرها[27].

اذاً لم تكن السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) شخصية يمكن تجاوزها في المجتمع الإسلامي حتى على الصعيد السياسي ، فقد قدمت لنا مثالاً مشرقاً في الدفاع عن الحق ، كما وتعلمنا ان نستنفد كل الوسائل في سبيل ذلك . كما ان من الخصائص المهمة في شخصية الزهراء هي شخصيتها القيادية التي امتازت بها ، التي ظهرت في حركتها خلال حياتها عموماً ، ولاسيما في قضية الدفاع عن الولاية[28] .

الخاتمة

تعد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) خير مثالٍ عن امرأة ولدت في بيت النبوة وترعرعت في أحضان الملائكة ، وامضت كل طفولتها في حضن أب كان في حالة مستمرة من الجهاد الذي لا ينسى ، كما كانت تتجرع مرارة الجهاد عندما حوصرت في شعب ابي طالب ، وتذوقت مرارة الجوع والرعب وكل انواع الشدائد في مكة المكرمة ، وبعد الهجرة إلى المدينة اضحت زوجة رجلٍ كانت كل حياته جهادٍ في سبيل الله ، وهي ابنة الحادي عشر من عمرها . فهي الأمرأة العظيمة والزوجة المضحية اللائقة لرجلٍ مجاهد وجندي وقائد دائم في

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

ميدان الحرب ، فقد ضربت لنا أروع الدروس في الدفاع عن النبوة والإمامة والنظام الإسلامي ، فكانت بحراً متراامياً من السعي والجهاد والعمل ، وفي النهاية الشهادة .

وتبقى وصيتها خالدة عبر الاجيال ، ومن هنا نرى اليوم أن المرأة قد سارت على خطى الزهراء فهي شاهد حي ومستمر على موقفها السياسي الرافض لتلك الجماعة الذين نصبوا انفسهم خليفة للمسلمين، لتكون الصوت المسموع عبر الاجيال تدفع الاحرار للتساؤل الدائم عن قضايا تلك الأحداث ، إذ إنها (عليها السلام) اسست لمبدأ الموت ضد السلطة الجديدة ليس دفاعاً عن الأرض والتمر والنخيل ، وإنما كان موقفاً سياسياً من أجل الدفاع عن القضية فكانت أول امرأة في عالم الإسلام ضحت من أجل الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . وعليه فقد توصلنا إلى صحة الفرضية بأن لفاطمة الزهراء(عليها السلام) دور سياسي مهم كان له أثر كبير على المجتمع الإسلامي ، وما زال عالقاً في ذهون الإسلام والمسلمين إلى هذا اليوم .

الهوامش

(1) اي بعد خمس سنين من ظهور الرسالة ونزول الوحي . ينظر : اسماعيل الانصاري الزنجاني ، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ، مج2 ، ط2 ، نكارش ، ايران ، 2000 ، ص67 .

(2) علي النمازي الشاهرودي ، مستدرك سفينة البحار ، ج8 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ، 1998 ، ص 248 .

(3) حسن شيخ الإسلامي التويسركاني ، مسند فاطمة الزهراء(ع) ، ط1 ، دار الصفوة ، لبنان ، 1992 ، ص 8 .

(4) محب الدين احمد الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ،ج1 ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ايران ،2007 ، ص ص 133-134 .

(5) اليعقوبي ، تاريخ احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي ، ج 2 ، دار بريل للنشر ، هولندا ، 1883 ، ص ، ص24 ، 30 .

* شعب ابي طالب ، وهو واد قريب من مكة ، اقام فيه النبي واقرباؤه والمسلمون ، خلال سنوات المحاصرة الاقتصادية . ينظر: المصدر نفسه ، ص ص 30-31 .

(6) محمد باقر المجلسي ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، ج19 ، مؤسسة الوفاء ، لبنان ، 1983 ، ص5 .

(7) محمد بيومي ، السيدة فاطمة الزهراء (ع) ، ط2 ، مطبعة سفير اصفهان ، ايران ، 1997 ، ص 161 .

(8) علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج2 ، دار الاضواء ، لبنان ، ص 80 .

(9) محمد باقر المجلسي ، ج 19 ، مصدر سبق ذكره ، ص 136 .

(10) محمد باقر المجلسي ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، ج43 ، مؤسسة الوفاء ، لبنان ، 1983 ، ص107 .

(11) المصدر نفسه ، ص 108 .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

(12) ابي جعفر الصدوق ، عيون اخبار الرضا (ع) ، ج2 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، 1984 ، ص203 .

(13) لجنة التحرير في طريق الحق ، سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ، ط2 ، سلمان الفارسي ، ايران ، 1988 ، ص ص 21-22 .

(14) مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، تاريخ النبي ﷺ واهل البيت(عليهم السلام) سيرة تحليلية في ضوء فكر الإمام الخامنئي(دام ظله) ، ط1 ، دار المعارف الإسلامية الثقافية ، 2017 ، ص73 .

(15) ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، ج1 ، ط1 ، ت: (علي شيري) ، مطبعة أمير ، ايران ، 1992 ، ص30 .

(16) ابي حديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، ت: (محمد ابو الفضل) ، ج6 ، دار الحياء الكتب العلمية ، ايران ، ص13 .

(17) ثائر العقيلي ، المواقف الجهادية والسياسية في سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام) ، مركز الدراسات الفاطمية في البصرة ، مقال على شبكة الانترنت : <alfatimi-basra.com>.

* بعد رحيل النبي ﷺ وظهور الانشقاق الفكري والسياسي بين المسلمن ، اتخذت كلمةالإمامة والإمام (مفهوماً) مكانة خاصة ، حيث تشكلت في القرن الثاني الهجري اهم مسائل المدارس الكلامية ذات الاتجاهات الفكرية المختلفة .

(18) اشارت الروايات من ان فاطمة الزهراء(عليها السلام) كانت تبكي الليل والنهار حتى اعترض بعض اهالي المدينة ، الأمر الذي دفع بعضهم للطلب من امير المؤمنين (عليه السلام) ، ان يطلب منها البكاء اما ليلاً او نهاراً . ينظر : العاملي ، الانتصار مناظرات الشيعة في شبكات الانترنت ، مج7 ، ط1 ، دار السيرة ، لبنان ، 2002 ، ص ص 180-182 .

(19) ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ج 2 ، مطبعة الحيدرية ، العراق ، 1956 ، ص 51 .

(20) ابن شهر آشوب ، مصدر سبق ذكره ، ص 208 . وايضاً: جمال الدين يوسف العاملي ، الدر النظيم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ، ص198 .

(21) قيصر عبد الكريم الزبيدي ، أيديولوجية الخطاب الديني- السياسي لدى السيدة فاطمة الزهراء وأثره في تغيير البنية الفكرية – السياسية لدى المجتمع في المدينة المنورة ، دراسة وتحليل ، مقال ، مركز الدراسات الفاطمية في البصرة ، على الموقع: <<alfatimi-basra.com>> .

(22) محمد فاضل المسعودي ، الاسرار الفاطمية ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة و حضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر ، ايران ، 1999، ص 481 .

(23) المصدر نفسه ، ص 485 .

(24) ابي منصور الطبرسي ، الاحتجاج ، ج1 ، مطبعة النعمان ، العراق ، 1966 ، ص ص 147-148 .

(25) مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، السيدة فاطمة الزهراء قدوة وأسوة ، ط1 ، دار المعارف الإسلامية الثقافية ، 2018 ، ص ص 142 – 143 .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190322

(26) عبد الرؤوف حسن ربيع ، دور السيدة الزهراء في تكامل البشرية ، مقال ، مجلة رسالة قلم . على شبكة الانترنت: <<waadallami.com>> .

(27) مكتب شؤون المرأة المركزي في حركة امل ، خطبة الزهراء: قراءة ودلالات سياسية ، 2012 ، مقال على شبكة الانترنت: <https://leilanrahbany.wordpress.com/2012> .

(28) مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، مصدر سبق ذكره ، ص174 .

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0